

تفسير البحر المحيط

@ 116 .

{ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرُبَىٰ إِذْ قَضَيْتَنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
الْعُمْرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوُ * عَلَيْهِمُ الْعُمْرُ
وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ زَادَ يَنَّا وَلَا كِن
رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِيَتَذَرَّ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّاهُمْ } . .

لما قص □ تعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له من الحمل به في وقت ذبح الأبناء ،
ورميه في البحر في تابوت ، وردة إلى أمه ، وتبني فرعون له ، وإيتائه الحكم والعلم ،
وقتله القبطي ، وخروجه من منشئه فاراً ، وتماهره مع شعيب ، ورعيه لغنمه السنين الطويلة ،
وعوده إلى مصر ، وإضلاله الطريق ، ومناجاة □ له ، وإظهار تينك المعجزتين العظيمتين
على يديه ، وهي العصا واليد ، وأمره بالذهاب إلى فرعون ، ومحاورته معه ، وتكذيب فرعون
وإهلاكه وإهلاك قومه ، والامتنان على موسى بإيتائه التوراة ؛ وأوحى تعالى بجميع ذلك إلى
محمد رسوله صلى □ عليه وسلم) ؛ ذكره بإنعامه عليه بذلك ، وبما خصه من الغيوب التي
كان لا يعلمها لا هو ولا قومه فقال : { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرُبَىٰ إِذْ قَضَيْتَنَا
إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ } . .

والأمر ، قيل : النبوة والحكم الذي آتاه □ موسى . وقيل : الأمر : أمر محمد عليه
السلام أن يكون من أمته ، وهذا التأويل يلتئم معه ما بعده من قوله : { وَلَكِنَّا
أَنْشَأْنَا قُرُونًا } . وقيل : الأمر : هلاك فرعون بالماء ، ويحمل بجانب الغربي على
اليم ، وبدأ أولاً بنفي شيء خاص ، وهو أنه لم يحضر وقت قضاء □ لموسى الأمر ، ثم ثنى
بكونه لم يكن من الشاهدين . والمعنى ، و□ أعلم ؛ من الشاهدين بجميع ما أعلمناك به ،
فهو نفي لشهادته جميع ما جرى لموسى ، فكان عموماً بعد خصوص . وبجانب الغربي : من إضافة
الموصوف إلى صفته عند قوم ، ومن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه عند قوم . فعلى القول
الأول أصله بالجانب الغربي ، وعلى الثاني أصله بجانب المكان الغربي ، والترجيح بين
القولين مذكور في النحو . والغربي ، قال قتادة : غربي الجبل ، وقال الحسن : بعث □
موسى بالغرب ، وقال أبو عبيدة : حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم . وقيل : هنا جبل غربي
. وقيل : الغربي من الوادي ، وقيل : من البحر . قال ابن عطية : المعنى : لم تحضر يا

محمد هذه الغيوب التي تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحينا ، أي فكان الواجب أن يسارع إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها زمننا زمننا ، فعزبت حلومهم ، واستحكمت جهالتهم وضلالتهم . وقال الزمخشري : الغرب : المكان الواقع في شق الغرب